أطفالنا في رحاب القرآن الكريم

٦٨

آيات وقصة

فاصدع بما تؤمر

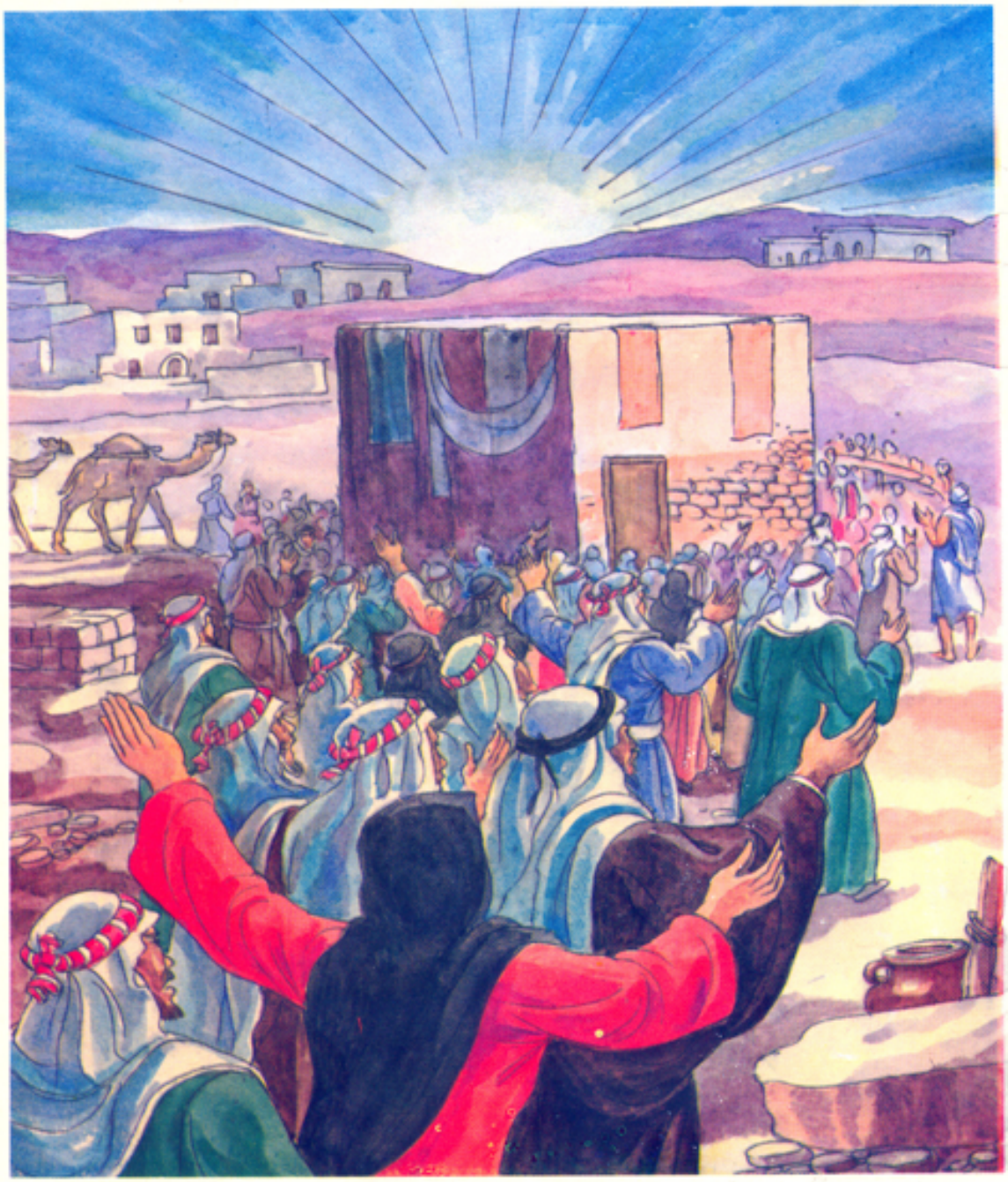

رزق السيد هيبة

دار الفكر العربي

أطفالنا فى رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة
(٦٨)

فاصدع بما تؤمر

تأليف
رزق السيد هيبة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أطفالنا أمانة غالية، نعمة الله، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة..

وهذه السلسلة ..

- تُربى أولادَنا تربيـة إسلاميَّـةً تعتمـدُ عَلَى هُدًى من كتـابِ الله «القرآنِ الكريم» تعـرِضُ القصصَ عـلى حسَبِ ترتيـبِ المصْحَفِ لتكوِّنَ فـى النهايةِ «التـفـسيـر القصَصىَّ للقرآنِ الكريـمِ للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إلى هذا التـفسير الذى يَصِلُهمْ بماضيهم العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهم ومُستَقْبلِهِمْ.
- وفى هذه الطَّبْعَةِ الجَديدَةِ حَرصْنَا أنْ تكون الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فى آخرِ كلِّ قصَّةٍ ملحقًا مِنْ شقَّيْنِ .. الشقُّ الأوَّلُ: عدَّةُ أَسْئلَةٍ تَحْفزُ القَارئَ عَلَى أنْ يُعيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّـةَ جَيدًا ليجيبَ عن هذه الأسـئلَةِ،فتستقـرَّ المعانى فى ذِهْنِه، ويزيد عِلْمًا بما فيها مِن قِيمةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نرجُوهَا من نشْرِ هذِهِ القصَص.
- أما الشقُّ الثانى من الملْحَقِ: فهو دُروسٌ فى قواعدِ اللغةِ العربيَّةِ «علم النَّحو» إذا تَتبَّـعها القَارئُ دَرْسًـا بَعْـدَ درسٍ من بدايةِ السِّلْسلةِ إلَى آخرِهَا يَصِـيرُ عَلَى علْمٍ بالحدِّ الأَدْنَى مِنْ قَواعدِ النحوِ التى لا يَنْبَغِى لقارئ أَنْ يجـهَلَهَا، فيستقيمَ لسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخَطأ...

وبهذه القـصَص وما يَتْبـعُهَا من دُرُوسٍ فى اللغَـةِ نكونُ قَد حصـلْنَا عَلَى فائدة مزْدوَجة، مِنْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَةٍ بقواعدِ لغتنا، وَهوَ مَا يَنْبَغِى أنْ نُرَبِّىَ عَلَيْهِ أجْيالَ أبْنائنَا القَادمة..فنستعيدَ مَجْدَ الماضِى لنبنىَ علَى أُسُسِهِ حَضَارَةَ المُسْتَقْبَلِ.

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا للمتقين إمَامًا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾ [الحجر]

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) ﴾ [الشعراء]

معاني الكلمات :

١- اصدعْ بما تؤمرُ: الصَّدعُ هو الشَّقُّ، وهوهنَا أمرٌ بإظهارِ الدينِ وكأنَّهُ سَيَشقُّ جماعَةَ الكفَّار بإظهارِ دِينه.

٢- أعْرضْ عن المشركينَ: لاَ تَلْتفتْ إِلَيهِمْ وَلاَ تُلْقِ لَهمْ بالاً.

٣- كَفيناكَ المستهزئينَ: نحنُ نحميكَ وندْفعُ عنكَ استهزاءَ المستهزئينَ.

٤- فسبِّحْ بحمد ربِّك وكنْ من السَّاجِدينَ: اذكر اللهَ كـثيرًا بالصَّلاةِ والعِبادَةِ والسَّجود فإنَّ أقربَ مايكونُ العبدُ منْ رَبِّه وَهُو سَاجِدٌ.

٥- حتَّى يأتَيكَ اليَقينُ: اعبدْ ربَّك طولَ حياتكَ حتَّى يأتِيَكَ الموتُ.

٦- عَشيرتَكَ الأَقربينَ: هُمْ بَنُو عَبدِ مَنافٍ، وَقِيلَ كُلُّ أقارب ﷺ.

٧- واخْفضِ جنَاحَكَ للمؤْمنينِ: تَواضَعْ لهمْ وعَاملْهمْ فى رفقٍ ومودَّةٍ.

بدأتِ الأُسرةُ جلستَها، مَعَ آياتِ اللهِ، وفَصْلٍ منْ فصول السِّيرةِ النبويَّةِ العَاطِرةِ، فتَلاَ أيمنُ آياتٍ منْ سورةِ الحجرِ، وتبعَهُ أشرفُ فقرأَ آيات منْ سورةِ الشُّعراءِ، وَكَانَ الوَالِدُ والوالِدةُ وإيمانُ يُنصتُونَ فى تَفهُّمٍ وتَوْقيرٍ للآياتِ البَيناتِ إذْعانًا لقولِ اللهِ تعالَى: ﴿**وَإِذَا قرئَ القُرآنَ فَاسْتَمعُوا لَهُ وَأَنْصِتوُا لعلَّكمْ تُرحُمونَ**﴾.

قالتْ إيمانُ: أُلاحظُ ياأَبى أنَّ الخطابَ هنَا موجَّهُ إلَى النَّبىِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، وأنَّها تُشيرُ إلَى شَىْءٍ منْ حياةِ الرَّسولِ ﷺ.

قالَ الوالِدُ: هَذَا صَحيحٌ يابْنتى، ولَكىْ نتفهَّمَ معَانِىَ هَذه الآياتِ يَنْبغِى أَنْ نَعيشَ لحظاتٍ معَ سيرةِ الرسُولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فهذه الآياتُ تُشيرُ إلَى تلكَ الأيَّامِ التَّى بدأَ النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ يجهرُ فيهَا بالدَّعوةِ بإذنِ منَ اللهِ سُبْحانهُ وتَعالَى.

قالتْ إيمانُ: أَلمْ يَجهرِ النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالدَّعوةِ منذُ بدأ الوحْى يتنزَّلُ عليْهِ منْ ربِّهِ فى شَهرِ رمضَانَ وَهُوَ يتعبَّد فِى غار حراءَ.

قالَ الوَالِدُ: لاَ، إنَّ الدَّعوةَ إلَى الإسْلامِ مرَّتْ بمراحِلَ، كانَ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ فِيهَا يَتَّبعُ أوامرَ اللهِ عزَّ وجلَّ. وكَانتْ لِكلِّ مرحلةٍ ثمرتُهَا، وَلْنبدأْ مَعَ النَّبى ﷺ فِى غَارِ حِراءَ.

قالتْ إيمانُ: وَماغارُحِراءَ؟

قالَ الوَالِدُ: الغَارُ هوَ شِقٌّ فِى الجبَلِ يمكنُ أنْ يختفىَ فيه الإنْسانُ، أَوْ يسْكنَ فِيهِ، وَيسمَّى الكهْفَ أيْضًا، وَغارُ حِراءَ مكانٌ فى جَبلِ حِراءَ يَقعُ فى جَانبِ

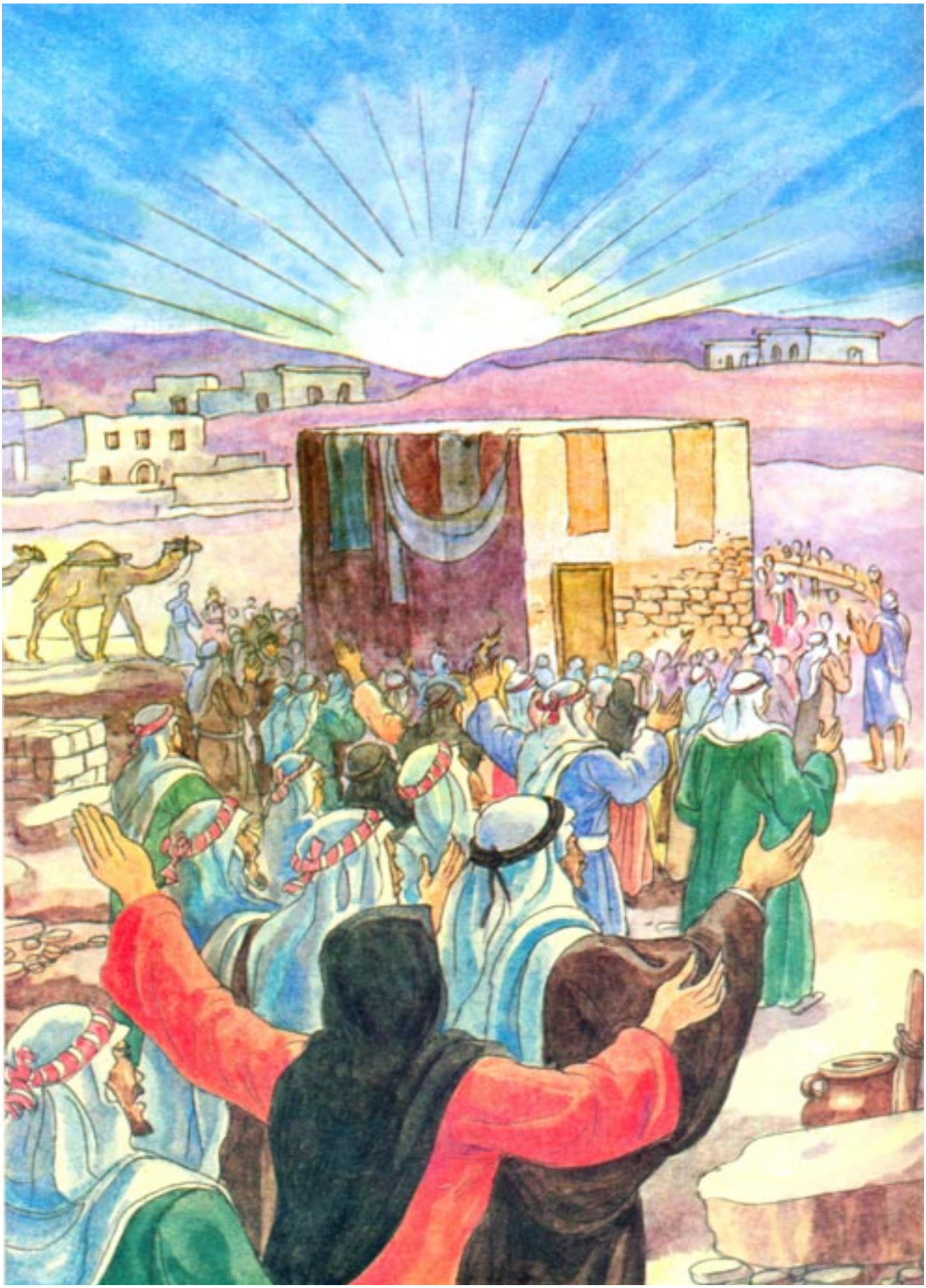

الشَّمالِ الغَـربىِّ منْ مكةَ المكرمَةَ، وكَانَ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسـلَّمَ عندَما قَاربتْ سِنُّه الأَربعينَ يَذَهْبُ إلَى هَذا الغَارِ، يخلُو فيه ويتعَبَّـدُ ليالى متعدِّدةً، ثُمَّ يَعودُ إلَى بَيْتـه فَيتزَوَّدُ مـنْ جديدٍ لخلْوةٍ أُخْرى، وهكذا إلَى أَن جَـاءَهُ الوحى مِنَ اللهِ تعَالىَ فهبَطَ عليه جبريلُ عليْه السَّلامُ وَأَبْلَغَهُ أَنهُ رَسولُ اللهِ إلَى العَالمينَ.

قالَ أيمنُ: ومَا حكمَةُ هذه الخلْوةِ الَّتى كانَ يختليهَا النبى ﷺ؟

قالَ الوَالِدُ: إنَّ كلَّ إنسانٍ فى حَاجةٍ إلَى مثلِ هذه الخلْوةِ، كُلٌّ واحدٍ بحسبِ قُدرتِه، وكَـفاءَته النَّفْـسيةِ؛ إنَّ فِى النَّفْـسِ البشَريةِ أمـراضًا لاَيداويَهـا إلاَّ العزْلةُ، فَينبَغْي أَنْ يَخْتلِىَ الإنسانُ بنَفْسه بَينَ كُلِّ فترةٍ وَأُخْرى؛ لِيتَأمَّلَ فِى حَقيقَتها وَمَنْشئهَا ومدَى حَاجَتِها إلى عِنَايةِ اللهِ تعالِى ومُساعَدته وتَوفيقه، وَلِكَىْ يتأمَّلَ النَّاسَ ومَدَى ضَعفهمْ أَمامَ الخَالقِ عَزَّوجَلَّ، ولِيتفكَّروا فِى مَظاهرِ عَظمةِ اللهِ، وفِى اليْومِ الآخرِ، وفِى الحِسابِ وَطُوله، وفِى رحمةِ اللهِ القَريبـةِ مِنَ المحسنينَ، وعقابِه الشَّديدِ الَّذى لابدَّ أنْ يَقَعَ بالْمجرِمينَ، إنَّ ذلكَ كلَّه يقرِّبُ الإنسانَ منْ ربِّه، وَيُكسبُه محبَّتَه.

قَال أشـرفُ: إنَّ هنَاكَ نَاسًا يَنْصـرِفُونَ عَنِ الحيـاةِ كُلِّها، وَيعـتزِلُونَ النَّاسَ، ويَعتَبِرونَ ذَلكَ هُو قِمَّةُ العِبادَةِ والوصُولِ إلَى اللهِ، حتَّى أنَّ العوامَّ يَصفونهم بكلَمةِ الوصُولِ هَذه فيقُولونْ: إنَّ فلانًا رجُلٌ واصلٌ.

قالَ الوَالِدُ: لاَ، يَابُنىَّ، هَذه مُغالاةٌ فى العِبـادَةِ، ومخالفةٌ لما كَانَ عليه النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ وأصـحَابُه؛ لأنَّ الإنسانَ مستـخلَفٌ فى الأَرضِ لإعْمارِهَا، والعَملِ عَلى ازْدِهارِهَا وَكَثْرةِ خَيْراتِها بِكلِّ مـا هُوَ خَيْر ومُباحٌ، وَالسَّعْى فى إِعْمارِ

الأَرْضِ مِنْ أهمِّ الواجِباتِ المشْروعَةِ، واللهُ سبحانَه وتعَالَى عندَما فَرضَ علينَا الصَّلاةَ لمْ يأمرْنَا بأنْ نجعلَ كلَّ حياتنَا صَلاةً، وإنَّما نُؤدِّى الفَرضَ الَّذى أوجَبهُ اللهُ علينا، ثُمّ نَنْتَشرُ فى الأَرضِ نَعملُ ونكدُّ طَالبينَ الرِّزقَ مِنَ اللهِ، يقولُ سبحانَهُ وتعَالَى: ﴿**فإذَا قُضيَت الصَّلاةُ فَانْتَشروُا فِى الأَرضِ وَابتغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ واذكروا اللهَ كَثيرًا لعلَّكمْ تُفلحُونَ**﴾ فَالفلاَحُ الحقيقِىُّ هوَ التوسُّطُ فِى الأُمورِ، وهُو إعطَاءُ الآخِرةِ حقَّها بالطَّاعةِ والعِبادَةِ، وَإعطَاءُ الدُّنيَا حقَّها بالسَّعىِ والإِعْمارِ وَالتَّدبيرِ.

وتوقَّفَ الوَالِدُ عَنِ الكَلامِ لحَظاتٍ يتأَملُ دَاخِلَ نَفْسِهِ، وَينظُرُ وَقعَ الحديثِ عَلَى مَلامحِ أُسرتِهِ، ثمَّ اسْتطردَ يَذكُرُ كَيفيةَ بدءَ الوَحىِ إِلَى النَّبى عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ. قَالَ:

- لِنعُدْ يَا أَبْنَائى إِلَى غَارِ حِراءَ، وكيفَ بَدأَ الوحُى إِلَى النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ، نَقرأُ فى صَحيحِ البخارِىِّ عَنِ السيدةِ عائشة رَضِى اللهُ عنْها تَصِفُ كيفيَّةَ بَدءِ الوَحىِ، وَتَقُولُ:

أولُ مابُدئ بِهِ النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ، الرُّؤيَا الصَّالحةُ فِى النَّومِ، فكَانَ لاَيَرَى رُؤيَا إلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلقِ الصُّبحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلْيهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخلُو بِغَارِ حَراءَ فيتحَّنثُ فِيهِ الليالى ذوات العَددِ قَبْل أنْ ينزِعَ إِلَى أهْلِه، ويتَزوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يرجِعُ إِلَى خَدَيجةَ فيتزوَّدُ لِمثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحقُّ وهُوَ فِى غَارِ حراءَ، فجاءهُ المَلَكُ فقَالَ لهُ: اقْرأْ، فقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئ، قَالَ: فأخذنى فَغطَّنِى حَتَّى بلغَ منى الجهْدَ ثمَّ أرْسلَنِى فقَالَ: اقْرأْ، فقُلتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأخذَنِى فغَطَّنِى الثانيةَ حتَّى بلغَ منى

الجهدَ ثمَّ أرسلَنى، فقالَ: اقْرأْ، قلتُ: ما أنَا بقارئ، فأخذنى فغطَّنى الثَّالثَةَ ثُمَّ أرسلَنى فقالَ: ﴿**اقْرأ باسمْ رَبِّكَ الَّذى خَلَقَ* خَلَقَ الإنْسَانَ منْ علَقٍ* اقْرأ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ* الذى علَّمَ بالقَلَمِ* علَّم الإنْسانَ مَالَمْ يَعْلَمْ**﴾. فَرجَع بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ يَرجُفُ فُؤادُهُ، فدَخلَ علَى خَديجَةَ بِنْتِ خُوَيْلدٍ رَضىَ اللهُ عنْها، فَقَالَ: زَمِّلُونى، زَمِّلونى، فَزمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عَنْه الرَّوْعُ، فَقَالَ لخَديجَةَ، وأَخْبرَهَا الخبرَ: لَقدْ خَشيتُ علَى نَفْسى، فَقَالتْ خَديجةُ: كَلاَّ، وَاللهِ لاَ يُخزيكَ اللهُ أبدًا، إنَّكَ لَتصلُ الرَّحمَ، وَتحملُ الكَلَّ، وَتُكسبُ المعْدومَ، وَتُقْرى الضَّيفَ، وَتُعينُ علَى نَوائبِ الحقِّ. فَانْطلقَتْ بِه خَديجةُ حتَّى أَتَتْ ورَقَةَ بنَ نوفَلِ بنِ أَسدِ بنِ عبدِ العُزَّى، وكَانَ ابنَ عمِّ خَديجةَ، وكانَ امرأً قَد تَنصَّرَ فى الجَاهلِيَّة، وَكَانَ يَكتُبُ الكتَابَ العبرَانىَّ، فَيكتُبُ منَ الإنْجيلِ فى العبْرانيةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يكتبَ، وَكَانَ شَيْخًا كبيرًا قَدْ عَمىَ. فَقَالَتْ لَهُ خديَجةُ: يَابْنَ عَمِّ، اسْمعْ منَ ابْنِ أَخيكَ، فَقَالَ لَهُ ورَقَةُ: يَاابْنَ أَخى، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبرهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ خَبَر مَا رأَى، فقالَ لَهُ ورَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذى نَزَلَ علَى مُوسَى، يَالَيْتنى أكونُ فيهَا جذعًا، لَيْتنى أَكونُ حَيًّا إذْ يُخرجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ: أَوَ مُخرجِىَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمثلِ مَا جئتَ بِه إلاَّ عُودِىَ، وَإنْ يُدْركْنى يَومُكَ أَنْصرْكَ نَصرًا مؤَزرًا. ثُمَّ لَمْ يَلْبثْ وَرقَةُ أَنْ تُوُفِّىَ.

قالتْ إيَمانُ: أَلمْ يكنْ فى الإمْكانِ أَنْ يُوحىَ اللهُ إلَى النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ بدُونِ وَسَاطَةِ الملَكِ، فيجرى القُرآنُ علَى لسانِه دونَ حَاجَةٍ إلَى مَا رآهُ النبىُّ منْ هَيْئَةِ الملَكِ ودُونَ حَاجَةٍ إلَى تكرارِ الضَّمِّ، حَتَّى يبلغ منَ النَّبى الجهدُ ويَصلَ إلَى حَالةِ الرعب التى ذكرَها.

قـالَ الوَالِدُ: يَابُنَيَّـتِي، إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىء قَـديرٌ، ولَقـدْ كَلَّمَ اللهُ مـوسَى تكليما، كَما أَخْبرَنَا فِى كِتَابِه، ونَحنُ نؤْمِنُ بِذَلِكَ، ولَكنَّ الوَحى عَنِ طَرِيقَ الملاَكِ يتضَّـمنُ حِكْمةً بالِغَةً أرادَهَا اللهُ سـبَحانَهُ وتعَالَى لِتـكُونَ آيةً فِى صِدْقِ النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ، وَدافِعًا للتَّصدِيقِ بِكُلِّ مـاجَاءَ بِهِ، وَأَنْصِتُوا لِى جَيِّدًا وَتدبَّرُوا هَذِهِ الحِكْمَةَ مَعِى.

لوْ أنَّ الوَحْى جَاءَ إلَى النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ بِدُونِ وسَاطَةِ الملَك، لظَنَّ النَّبى، أَوظَنَّ النَّاسُ أَنَّ مايْجرى عَلَى لِسَانِ النَّبى هو أَمْرٌ ذاتى دَاخِلىٌّ سَبَبُهُ حَدِيثُ النَّفْسِ أَوِ التَّفكيرُ بصْوتٍ عَالٍ كمَا يقَالُ. ولَكنْ عِندمَا يجِىءُ الملَكُ بِهذِهِ الصُّورَةِ، وَهُوَ شَىْءٌ لَم يَعـهْدهُ النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْـه وسلَّمَ فى حَيَاتِه، ولَم يسـمَعْ عنْه بينَ النَّاسِ، فإنَّهُ يتأَكَّدُ بأنَّ هذَا الوَحْىَ إنَّما هُو اسْتِقْبالٌ مِن مَصدَرٍ خَارجىٍّ لاَ عَلاَقَةَ لهُ بِتْفكيرِه أَوْ حَدِيثِ نَفْسِه، وَعندمَا يَضُمهُ المَلكُ ثَلاثَ مَّراتٍ ثمَّ يرسِلُهُ ويقُولُ لَهُ فى كلِّ مرةٍ: اقْرأْ، يُـعتبرُ هَذَا تَأْكـيدًا بِأَنَّهُ يتلقَّى مَا يتلَقَّاهُ مِنْ هذا المـصْدَرِ الخارِجىِّ، الذى يُرِيدُ أَنْ يُؤكِّدَ لهُ ذلك بحـاسَّةِ السَّمعِ، وبحـاسَّةِ البَصرِ، وبحـاسَّةِ اللَّمس، وَكأَنَّهُ يقُـولُ لهُ: يَامحـمدُ، أَنْتَ فِى كَاملِ يَقْظتِكَ، وهـذه المحسُوسَـاتُ كلُّها مِنْ حـولِكَ تَشهَـدُ بيقْظتِكَ، وَمَـايحـدُثُ لَكَ الآنَ ليسَ رؤيَا منَامٍ، ولا هَواجِسَ ولاَ وَسَاوِسَ، وَإنَّما هِىَ الحقِـيقَةُ الَّتى ستَمَلأُ أَقْطارَ الأَرْضِ قَريبًـا، فَأَنَاجِبرِيلُ، وَأَنْتَ رَسُولِ اللهِ.

وعندمَا نزلَتْ سُـورَةُ المدَّثِر، وسُورةُ المزمِّل أَخَذَ النَّبـى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ يَجتـهِدُ فى العِبَـادَةِ فكانَ يقْضِى اللَيْلَ إلاَّ قليـلاً مِنْهُ فى الصَّلاةِ والتَّبـتُّلِ، وكَانتْ

خَدِيَجةُ رضِىَ اللهُ عَنْها تَقـولُ لهُ مامَعْناهُ: أَلاَ تَنامُ فَتريحَ جسدَكَ؟ فَيـقُولُ لها عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: لَقدْ مَضَى زَمَانُ النَّومِ يَاخَدِيَجةُ!

إِنَّهَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يُعدُّ نَفسهُ لتـحمُّلِ المسئولية الَّتى كلَّفَهُ اللهُ بِهَا، وَبَدَأَ الدَّعوةَ إِلَى عبادة اللهِ وَحَـدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى تَرْكِ عبَادةِ الأَصْنامِ، الَّتِي تَعكُفُ عَليهَـا قُريشٌ، وكَانَ لاَ بُدَّ مِنَ الاِحْـتياطِ لئَـلاَّ تُقتَلَ الدَّعَوةُ قـبلَ أنْ تَظْهَرَ، فكَانَ النَّبِّى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يَدْعوُ إِلَى اللهِ سِرًّا حـذرا مِنْ وَقعِ المفَاجَأَةِ عَلَى قُرَيْشٍ الَّتِى كَانَتْ مُـتَعصِّبـةً لِشرْكِهَا، فَلمْ يكـنْ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يُظهِـرُ الدعوة فِى المجالِسِ العمومُيَّةِ لقـرْيشٍ، ولَمْ يكن يَدْعُو إلاَّ مَنْ كَانَتْ تَشُدُّه إلَيْهِ صِلَةُ قرابَةٍ أَوْ مَعرِفَةٌ سَابِقةٌ.

وكانَ مِنْ أوَائلِ مَـنْ دَخلَ الإِسْلاَمَ: خَدِيَجـةُ بِنْتُ خُويلدٍ رضِىَ اللهُ عـنْها، وعَلىٌّ بنُ أَبِى طَالبٍ، وَزَيْد بنُ حَـارِثةَ، وَأَبُو بكرِ بنِ أَبِى قُـحافَـةَ، وَعُثْمـانُ بنُ عَفَّانَ، والزُّبيرُ بنُ العَّوامِ، وعبدُ الرْحمنِ بنُ عَوْفٍ، وسَعدُ ابنُ أَبى وَقَّاصٍ، رَضِى اللهُ عنْهم جَمِيعًا.

وَكانُوا يَلْتقُـونَ بالنَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم سِرًّا، فيأخـذون عَنْه ما جدَّ مِنَ الوَحْيِ، أَوْ يُذكِّـرهُمْ عليْهِ الصَّـلاةُ والسَّلامُ بِمَـا ينْبغِى أنْ يكونَ عليْـه المسْلمِ منْ خِصَالٍ وشمائل وَأَخْلاقِ كَرِيمةٍ، ثمَّ ينْصِرفـونَ فإذا أرَادَ أَحدُهُمْ مُمارسَةَ عِبادةٍ من العِبَادَاتِ انْطَلَق إِلَى شِعْبٍ مِنْ شِعَاب مكَّة يستخفى فِيه عن أَنْظَار قُرَيْش.

ولما اقتربَ عددُ المسْلمينَ مِنَ الثَّلاثينَ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرأَةٍ، اخْتارَ لَهمْ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم دارَ وَاحدٍ هوَ الأَرقمُ بنُ أبِى الأَرْقمِ، فَكَانُوا يَلْتَقُونَ هُنَاكَ، يتَلقَّوْنَ مِنَ النبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم مايْحتاجُونَ إِليْه مِنْ إِرْشادٍ وتَعليمٍ، إِلى أَنْ بلَغَ عَددُهمْ أَربعينَ عَامَّتُهمْ مِنَ الفُقَراءِ وَالعَبيدِ الَّذينَ لاَ شَأْن لَهمْ فِى قُريشٍ، وَلَيْسُوا مِنْ رُءوسِ النَّاسِ ولاَ رُؤَسائِهِمْ.

قالَ أيمنُ: ولماذَا لمْ يجهرِ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم فى بَادِئ الأَمْرِ، ويُعْلنْ كَلمةَ اللهِ بَلا تردُّد أَوْ تأْخيرٍ؟

قالَ الوَالدُ: يَابُنَىَّ، إِنَّهُ أوَّلاً تَرتيبٌ منَ اللهِ سبحانَهُ وتعَالَى، ولاَ أَشُكُّ فِى ذَلكَ، ولاَ بدَّ أنَّ هناكَ حكمةً نستخلصُها منْ قولِ النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، «اسْتَعينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائجِكمْ بِالكتْمانِ»، ثُمَّ إنَّ عَددَ المسْلمينَ فِى هذِه الفَتْرةِ كَانَ قَليلاً جِدًّا، وَهمْ فِى الوَقْتِ نَفْسِه مِنْ فُقراءِ مَكةَ وضُعَفائِها، بَلْ وفيهِمُ العَبيدُ الذين لاَ يَزَالُونَ مَمْلُوكينَ لأَسْيَادِهمْ مِنْ عُظماءِ قُريشٍ، وَإِذَا ظَهرتِ الدَّعوةُ عَلانيةً فِى مثْلِ هذه الحالِ، تعرَّضَ المسلمُون للأذَى الشَّديدِ الذى قَدْ يَصِلُ إِلَى حَدِّ القَتْلِ، فكَانَتِ الحِكْمةُ أَنْ تَبْقَى أرْواحُ المسْلمينَ سَليَمةً، وَإِلاَّ فإنَّ هَلاكَهمْ سيكونُ إِضْرارًا بالدِّينِ نَفْسِه، وقطعًا لدَعوةِ الإِسْلام وَهىَ لا تَزَالُ فِى أُولَى خَطَوَاتِهَا.

ثمَّ لَنتأَمَّلْ حكمَةً أَخْرَى فِى أَنْ يكونَ أوَائلُ المسْلمينَ خَليطًا منَ الضُّعفَاءِ والفُقَراءِ والأَرِقَّاءِ، فَنجدُ أنَّ هذِه هِىَ الثَّمرةُ الطَّبيعيَّةُ لدعْوةِ الأَنْبياءِ جَميعًا فِى فَتْرتِهَا الأُولَى.

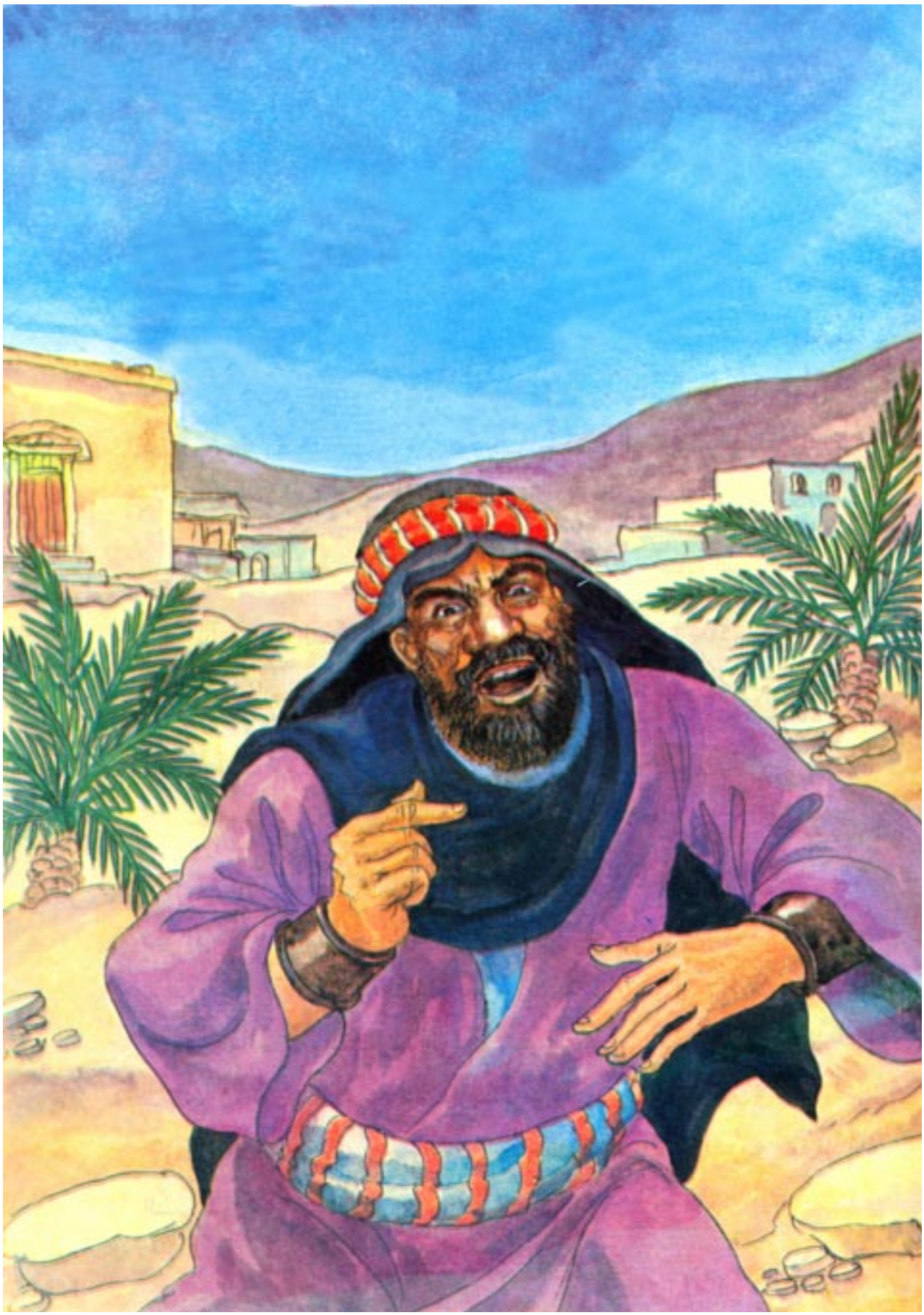

والسِّرُّ فِى ذَلكَ أنَّ حقَـيقَةَ هَذا الدِّينِ الَّذِى بَعثَ اللهُ بِهِ كُلَّ أنْبـيائِهِ إنَّما هِىَ الخرُوجُ عَنْ سُلطَانِ البَشَرِ وَسَـيْطِرتهمْ، وَالدُّخول فِى سُلطانِ اللهِ وَحُكْمِه وَحْدهُ، ولئَلاَّ يقُالَ بأنَّ هذَا الدِّينَ قاَمَ بقـوَّةِ الأقوياءِ أَوْ سلْطانِ العُظماءِ، وَإنَمَا هُوَ بقوَّةِ اللهِ وسُلطانِه الذى أَعْطَى هَؤُلاءِ القوةَ ومنحَهُمُ الإيمَانَ الثَّـابتَ، فَلاَ يَعتزُّونَ إلاَّ باللهِ، ولاَ يرْكنُونَ إلِى سِواَهُ، حَـتَّى أنَّ أحدَهُم وَهُو رِبْعىُّ بنُ عَامِـرٍ، وَهوَ جُندىٌّ بَسيطٌ فِى جَيْشِ المسْلمينَ يَقفُ بْعْـدَ ذَلكَ بسنِينَ أمَامَ رُستمَ أكبرِ قَـائدٍ فِى جيْشِ الأَعَداءِ الفُرْسِ لِيقولَ لَهُ:

[لَقَدْ جِئْنَا لنخرج مَنْ شَاءَ مِنْ عِبادَةِ العِبَادِ إلَى عِبَادةِ اللهِ وَحْدَهُ].

إنَّ هؤلاء النَّفرَ مِنَ المسْلمينَ لَمْ يَسـتَجِيبُوا لِدَعوةِ حَـاكمٍ مِنَ البْشَرِ، ولاذى سُلطَانٍ مِنَ النَّاسِ، وَإنَّما استْجَـابُوا لِلَّهِ وللرَّسُولِ، وَحَملُوا هَذِهِ الرَّسَالَةَ، وَأَدَّوْهَا إلِى العَالَمِ خَيرَ الأَدَاءِ.

وَنُعودُ إلَى رُواةِ السيرةِ العَاطِرةِ، فَنقْرأُ لابْنِ هِشَامٍ قَولَهُ:

ثمَّ دخَلَ النَّاسُ فِى الإِسْـلاَمِ أَرْسَالاً مِنَ النِّسـاءِ والرَّجَالِ، حَـتَّى فَشَـا ذِكْرُ الإِسْلامِ بمكَّةَ، وتحدَّثَ النَّاسُ بِهِ، فَأمَرَ اللهُ رسولَهُ أَنْ يَصدَعَ بِما جَاءَ بِهِ من الحقِّ، وَأَن يُبادِىَ النَّاسَ بأمرِهِ وَأنْ يَدْعوَ إلِيْهِ، وَكانَ بَينَ مَا أَخْفَى رسُولُ اللهِ أَمْرهُ واسْتَتَر بِهِ إلَى أَنْ أمرَهُ اللهِ بإظهارِ دينه ثَلاثُ سنِينَ منْ مَبْـعثه، ثُمَّ قَالَ اللهُ لَهُ: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)** ﴾ وقَالَ لَهُ: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيـرَتَكَ الأَقْرَبِينَ*وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمنِ اتَّبعَكَ مِنَ المؤْمِنِينَ* وَقُلْ أَنَا النَّذِيرُ المبِينُ**﴾.

يقولُ ابنُ هِشَامٍ:

وحينئذٍ بَدأَ رَسُولُ اللهِ بِتَنْفيذِ أَمْرِ رَبِّهِ، فَاستجَابَ لِقولِهِ تعَالَى: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)** ﴾ بِأَنْ صَعِدَ عَلَى الصَّفَا فَجعَلَ يُنَادِى: يَابَنِى فِهرٍ، يَابَنِى عَدِىٍّ، فجعَلَ الَّذِى لَمْ يستطِعْ أَنْ يخْرُجَ يُرسِلُ رسولاً لِيَنْظُرَ: مَاهُوَ؟ فقَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ: أَرأَيتُمْ لَوْ أَخْبرتكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالوَادِى تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِىَّ؟ قَالُوا: مَاجَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَطُّ. قَالَ: فَإِنِّى نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذابٍ شَدِيدٍ. فَقَالَ أَبُو لَهبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهذَا جَمعْتَنَا؟ فَنَزَلَ قَولُ اللهِ تعَالَى: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾.

ثمَّ إن الرَّسولُ استجابَ لِقولِهِ تعَالِى: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤)** ﴾ بِأَنْ جَمعَ مِنْ حَوْلِهِ جَمِيعَ ذَوِيه وَأَهْلِ قَرابَتِهِ وَعَشيرَتِهِ، فقَالَ: يَابَنِى كَعْبِ ابنِ لُؤَىٍّ أنقذوا أَنْفسكُمْ مِنَ النَّارِ، يَابَنِى مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أنقذوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النَّارِ. يَابَنِى عَبْدِ شَمسٍ، أنقذوا أَنفُسكُمْ مِنَ النَّارِ، يَابَنِى عَبْدِ مَنَافٍ، أنقذوا أَنْفُسكمْ مِنَ النَّارِ، يَابَنِى عَبدِ المطَّلبِ، أَنْقذُوا أنْفُسكمْ مِنَ النَّارِ، يافَاطِمةُ، أنقذى نَفسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّى لاَ أَمْلِكُ لَكمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيرَ أَنَّ لَكُمْ رَحمًا سَأَبلُّها ببلالها.

وَكانَ رَدُّ الفِعْلِ مِنْ قُريشٍ أَمَامَ جَهرِهِ بالدَّعوةِ، أَنْ أَدْبروا عَنْهُ وَتنكَّرُوا لِدَعوَتِه، مُعْتذرينَ بأَنَّهمْ لاَيَستطِيعُون أَنْ يتركُوا الدِّينَ الَّذِى وَرِثُوهُ عَنْ آبَائِهمْ، وَأَصْبَحَ مِنْ تَقَالِيدِ حَياتِهِمْ، وَحِينئذٍ نَبَّههُمُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّم إِلَى ضَرُورَةِ تَحرِيرِ أَفْكَارِهِمْ وَعُقُولِهمْ مِنْ عُبُودِيَّةِ الاتِّبَاعِ وَالتَّقليدِ، وَأَنْ يَستَعْمِلُوا العَقْلَ

وَالمنْطِقَ، وَأَوضحَ لهمْ أنَّ آلِهتَهُمْ التَّى يَعْكفُونَ عَلَى عِبَـادتِهَا لاَ تُفيدهُمْ أَوْتَضرُّهمْ شَيْئًا.

فلمَّا عابَ آلِهَـتهُمْ، وسَفَّهَ عُقـولَهمْ، أَعْظَمُوا الأَمْرَ، وَأَجمعُـوا عَلَى خِلاَفِه وعَداوَتِه، إلاَّ منْ عصَمَ اللهُ تعالَى مِنهمْ بالإسْـلامِ، وَإلاَّ عمَّهُ أَبَاطَالبٍ، فَإنَّهُ رغْمَ بقَائهِ عَلَى شِرْكِه، كَانَ يَحمِيه وَيدفَع عنْهُ كَثيرًا مِنَ أذَى الْمشرِكينَ.

واسْتطردَ الوَالِدُ فِى حَدِيثه، فَقَالَ:

وانْظروُا يَاأَبْنائِى إلَـى العِبْـرةِ والعِظَةِ فِى إنَـذارِ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْـه وسلَّم عَشيرتَهُ الأَقرَبِينَ، إنَّها تَنْبيهٌ لكلِّ مسْلمٍ بأنه مسئُولٌ عَنْ أَهْلِه وذوى قُرَباهُ، وتَوجيهًا إلَى القِـيامِ بـحقِّ هذِه المسْئـوليَّـةِ خَصَّصَ اللهُ الأَهْـلَ وَالأَقَارِبَ بضـرورَةِ الإنْذارِ وَالتَّبليغِ، وَهذِه المسْـئُوليةُ يَشترِكُ فِـي ضَرورَةِ تَحمُّلهَا كُلُّ مسْـلم صَاحبِ أُسْرةٍ أَوْ قرْبَى، وَلَيسَتْ خَاصَّةً بالأَنْبياءِ فَـقَطْ، فالأَنْبياءُيدْعونَ إلَى اللهِ، ويُخرجُونَ المؤْمنينَ بدعْـوتِهِمْ مِنَ الظُّلمـاتِ إلَى النَّورِ، وتَبْـقَى الدَّعـوةُ بَعـدهمْ أمَـانَةً فِى أَعْناقِ مَنْ يَتْبعُـونَهمْ، عَلَيهمْ أَنْ يبلِّغوهَا بدَوْرِهمْ، ويَنْطقُـوا هُمْ أيْضًا بأَلْسِنة الرُّسلِ، وَأَوْلَى النَّاسِ بالتَّبليغ وَالإنذارِ هُمْ أهل الإنَسانِ وَعشيرتُهُ وذَوُو قُرْباهُ، لإنقاذهم مِنَ النَّارِ، فكلُّ إنسانٍ لاَ بدَّ أنْ يَلقَى رَبَّهُ، فيحَاسِـبَه علَى ما قدَّمَ وأخَّرَ، ولاَ تُغنِى نَفْسٌ عن نَفْسٍ شَيْئًا.

ولنْتأَمَّلْ قَولَهُ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم لابنته الَّتى هِىَ أَحَبُّ النَّاسِ إلَيْه: يَافَاطمَةُ أَنْقذِى نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإنِّى لاَ أَملِكَ لك مِنَ اللهِ شَـيْئًا. ولعَلَّ فِى جَلسَاتِنَا هَذِه

تبْليغًـا وتَوْجيهًا وتحـملاً للمسْئـوليةِ الَّتى نَدْعو اللهَ أنْ يُعـينَنَا فِيه، ويتقَـبَّلهَا مِنَّا، وَيجعَلَ ثَمرتَها الخيرَ والتَّوفيقَ والفَلاحَ.

قالَ الأَولادُ كُلُّهمْ، وَقَدْ رفعُوا أَكُفَّهم ضَارِعينَ: اللهم آمينَ.

وانْتقَلَ الوَالِدُ إِلَى الحديثِ عمَّا جرَى بْعدَ الجهرِ بالدَّعَوةِ فقَالَ:

ثمَّ إنَّ قُريشًا اشْتدَّتْ فِى إيذائها وَمُـعَاداتِها لرسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ وَأَصحـابِه، أَمَّا رسولُ اللهِ فَقَـد لاَقَى مِن إيذائهمْ أَنواعًا كَثيـرةً، مِنْ ذَلَكِ ما رَواهُ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بْنِ العَـاصِ إذْ قَالَ: بَينمَا النَّبُّى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يصلِّى فِى حجْـرِ الكَعْبـةِ، إِذْ أَقْبل عُقْـبةُ بنُ أَبِى مُعَـيْطٍ فوضَعَ ثوبَهُ فِى عُنُقِـه فخنَقَـهُ خَنْقًا شديدًا، فَأَقْـبلَ أَبُو بكرٍ حَتَّى أخذَ بِمنْكِبِه، ودَفعَـهُ عَنِ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وقالَ: أَتَقْتلونَ رجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّى اللهُ؟. وَمِنهُ مارَوَى عبدُ اللهِ بنُ عمرَ قالَ: بينَما النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم سَاجدٌ وَحولَه ناسٌ منْ قُريشٍ جَـاءَ عُقبةُ بنُ أَبِى مُعَيْطٍ بِسَلاَ جَزُورٍ فَقذَفَهُ علَى ظَهْرِ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فَلمْ يرفَعْ رأسَهُ، فجاءَتْ فَاطِمةُ رَضىَ اللهُ عَنْها فأخذَتْهُ مِنْ ظَهرِه ودَعتْ عَلَى مَن صَنعَ ذِلكَ. ومِنهُ ما كَانُوا يُواجهونَهُ بِه مِنْ فنونِ الهمْزِ والغَمزِ واللَّمزِ كلَّما مَشَى بينَهمْ أَومرَّ بهمْ فى طُرقَاتِهمْ أَوْنَواديهِمْ.

وكانَ بعضُهم يعْمدُ إِلَى قَـبضةٍ منَ التُّرابِ فَينثُرهَا عَلَى رأسِ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وَهُوَ يسيرُ فِى بعْضِ سِكَكِ مكَّةَ، وَيعُودُ إِلَى بيْتِه والتُّرابُ علَى رَأْسِه، فتقُومُ إِحْـدى بنَاتِهِ تَغْسِلُ عنه الترابَ وهىَ تبْكى، فَيقـولُ لَهَا النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه

وسلَّم: يَابُنيةُ لاَ تَبْكِى، فإنَّ اللهَ مَانعٌ أبَاكِ، يَعْنِى حَافِظُهُ وحَامِيهِ ومدافع عنْه مهْمَا كَانَ إيذَاءُ الْمشركينَ لَهُ وسُخريتُهم مِنْهُ.

هذَا بالنسبة لَهُ عليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ، أَمَّـا أصْحَابُهُ رضْوانُ اللهِ عليْهم، فَقَدْ لاَقَوْا أنْواعَا منَ التَّعذيبِ وصُنوفًا مِنَ الإيذَاءِ، فَلمْ تَهِنْ قُوتُهم، ولَمْ يلِنْ عزْمُهمْ، حَتىَّ ماتَ مِنهـمْ مَنْ ماتَ تَحتَ العَذَابِ، وَعمِىَ مَنْ عمِىَ، ولَـنْسمعْ إلَى وَاحِدٍ مِنهمْ هُوَ خَبَّـابُ بنُ الأَرتِّ يقولُ: أَتيْتُ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وهُو مـتوسِّدٌ برْدةً فِى ظِلِّ الكَعْبةِ، وَقدْ لَقِينَا مِنَ المشرِكينَ شِدَّةً، فقُلتُ: يَارسُولَ اللهِ، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ فقَعَدَ وهُوَ مُحمرُّ الوَجْهِ فقَالَ: لَقدْ كانَ مَنْ قَبلَكمْ ليمشَطُ بأمْشاطِ الحديدِ مَادُونَ عِظَامِه منْ لحمٍ أَو عَصَبٍ، مَايَصـرِفُهُ ذَلكَ عَنْ دِينه، وَلَيُتمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمَر حَتَّى يَسير الرَّاكِبُ منْ صنعَاءَ إلَى حَضْرموتَ لاَ يَخَافُ إلاَّ اللهَ.

وكأَنَّ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يخاطِبُ المسْلمينَ جمـيعًا مِنْ خِلاَلِ حَديثِه لخـبَّـابٍ رضِى اللهُ عنْهُ، ويقُـولُ لهمْ: إنْ كُنتمْ تَتَـعـجَّبُـونَ مِنَ العَـذابِ والأَذَى وَتَستَعْربُونَ أَنْ يْجرِىَ ذَلكَ فِى سَبـيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فَاعْلَمُوا أنَّ هذَا هُوَ الَّسبيلُ، وتلكَ هِى سُنَّةُ اللهِ فِى جَمـيعَ عِبَادِهِ الَّذين آمَنُـوا بِه، لَقدْ مُشِطَ الكَثـيرُ منْهمْ فِي سَبيلِ دِينِه بَأَمشَاطِ الحـديدِ مِنْ رأْسِه إلَى القَدمِ مَا صدَّهمْ ذلك عَنْ شَىْءٍ مِنْ دينِ اللهِ. وَإنْ كنتمْ تـرَوْنَ فِى العَـذَابِ دَلائلَ الـيَـأْسِ وَالقُنُوطِ مِـنَ النَّصْـرِ، فَـأنْتم متـوَهِّمُونَ، بَلِ الحقُّ هُوَ أنَّ المؤمنَ يَجدُ فِى العَـذابِ والأَلم دَافعًا إلَى السَّـير فِى الطَّرِيق حَتَّى النِّهايَةِ، ودُنُوًّا مِنَ النَّصرِ المبِينِ، وَالفَتحْ القَرِيبِ.

لم يَنَلِ التعذيبُ «أربد» الإيذاءَ الذي نالَ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم شيئًا من نفوسِهم، فجعلَ الرعدَ والصواعقَ بالمفاوضاتِ يقولونَ له عليه الصلاةُ والسلامُ:

إنْ كُنتَ إنَّما تريدُ بما جئتَ به من هذا الأمرِ مالاً جمعْنا لكَ من أموالِنا حتَّى تكونَ أكثرَنا مالاً، وإنْ كنتَ تريدُ به شرفًا سوَّدناك علَيْنا حتَّى لا نَقْطَعَ أمرًا دُونَكَ، وإنْ كُنْت تريدُ به مُلكًا ملكْنَاكَ علَيْنا، وإنْ كانَ الَّذي يأتيكَ رِئيًّا تراهُ لا تَسْتَطيعُ دفعَهُ عنْ نفسكَ طلَبْنا لكَ الطبَّ وبذلْنا فيه أموالَنا حتَّى نُبرِئَكَ منْهُ.

فقال لهمْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ما بي ما تقولُونَ، ما جئْتُ بما جئتكُمْ به أطلبُ أموالَكُمْ ولا الشَّرفَ فيكُمْ ولا الملْكَ علَيْكُمْ، ولكنَّ اللهَ بعثني إليْكمْ رسُولاً، وأنزلَ علَيَّ كتابًا، وأمرَني أنْ أكونَ بشيرًا ونذيرًا، فبلَّغتكُمْ رسالاتِ ربِّي، ونصحْتُ لكُمْ، فإنْ تقبلُوا منِّي ما جئْتكُمْ به فهُوَ حظُّكمْ في الدُّنيا والآخرةِ، وإنْ تردُّوهُ علَيَّ أصْبرْ لأمرِ اللهِ حتَّى يحْكمَ اللهُ بيْني وبيْنكُمْ.

وكانَ منْ هذه المفاوضاتِ أنْ طلَبُوا منْ أبي طالبٍ عمِّ النبِّي صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ أنْ يُسلِّمهُمْ مُحمدًا ليَقْتُلُوهُ، علَى أنْ يُعْطُوهُ بدلاً منْهُ واحدًا منْ أجملِ شبَابِهِمْ جمالاً، وأقْواهُمْ صحَّةَ بدَنٍ، فكانَ ردُّ أبي طالب علَيهِمْ أنْ قالَ: بِئْسمَا رأيْتُمْ، أتطْمعُونَ أنْ أُعْطيكُمْ ولَدي، تقْتلُونَهُ، وتُعْطُونِي ولدَكُمْ لأغذوَهُ لكُمْ.

قالوا لَهُ: إذنْ كُفَّ ابْنَ أخيكَ عنَّا.

فذهبَ أبُو طالبٍ إلَى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يُعيدُ مطالبَ قُريشٍ واقْتراحاتِهمْ، فقالَ علَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ:

«واللهِ يَاعَمُّ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمسَ فِى يَمـينى وَالقَمرَ فِى يَسَارِى عَلَى أَنْ أَترُكَ هذَا الأَمْرَ مَا أَنَا بِتارِكِه حَتَّى يظهرَهُ اللهُ أَوْ أَهلكَ دُونَهُ».

لَقدْ كَانَ فِى رَدِّ النَّبى ﷺ المثَلُ الأعْلى للثَّبات عَلَى المبدَأ وَالرُّكُونِ إلَى الحقِّ، مَهَما كَانَت المغْـريَاتُ، وَمَهْمَا كَانَت الصُّعوبَاتُ والعَقَـباتُ أيْضًا، إنَّها رِسَالةُ اللهِ، وَاللهُ قَدْ تكفَّلَ بحفظِها وحمَايتِها حتَّى تَبلغَ غَايتهَا، مِصْداقًا لقولِه جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا والَّذين آمنُوا فِى الحيَاةِ الدُّنيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ**﴾.

ولَقـدْ صَدَقَ اللهُ وَعْـدَهُ، ونَصرَ نَبـيَّهُ والَّـذينَ آمَنُوا مَعَـهُ، وَجَاءَ نَصْـرُ اللهِ وَالفَتْحُ، ودَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجًا، ولَاتزَالُ الدَّعوةُ الإسْلامَيَّةُ، بِقيادَةِ نَبيِّها صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، وبجهَـادِ أصْحابِه وَأَتْباعِهِمْ وَأَتْباعِ أَتْبـاعِهِمْ، لاَتزَالَ قَائمةً، لاَ يضـرُّهَا مَنْ خَالَفَـها، وَلاَ يُطفئ نورَهَـا مَنْ أَبغَضَـها إلَى أنْ يَقـومَ النَّاسُ لِربِّ العَالمينَ.

وَلْنُعدْ تلاَوةَ تلكمُ الآيَاتِ مِنْ سُورةِ الحِجْرِ:

﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)** ﴾.

صدقَ اللهِ العظيمُ

وإلَى اللقاء يَاأَبْنائِى فِى القصَّةِ التَّاليةِ (٦٩) وَعُنوانُها: (**وَيْخْلُقُ مَالاَ تعْلَمُونَ**)

أسئلة القصة

س ١ ـ كَيفَ بدأَ الوَحْى عَلَى النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ، وأين كَانَ عِنْدَ لِقاءِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ بِهِ أولَ مَّرة؟ وماذَا كانَ يَفْعَلُ فِى هَذَا المكانِ؟

س ٢- لِماذَا كَانَ الوَحْىُ بوسَاطَة جبرِيلَ عليْه السَّلامُ، ولمْ يكنْ مُبَاشِرًا مِنَ اللهِ بكلامٍ يُلقيهِ فِى صدْرِ النبىِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ؟

س ٣- مَاذَا فـعَلَ النَّبىُّ عليهِ الصَّـلاةُ والسَّلامْ بَعْدَ تَلقِّـيهِ الوَحْىَ منْ جِـبريلَ؟ وَماذَا قَالَ لخديجةَ رَضِىَ اللهُ عنها وبِماذَا أَجَابَتْهُ؟

س ٤-مَا الَّذى عَرفْتَهُ عَنْ وَرقةَ بنِ نَوْفلٍ، ومَـاذَا كانَ رأيُهُ فيما أُنزلَ عَلى النبِّى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ؟ وَمَا الَّذِى تمنَّاهُ عندما سِمعَ كَلامَ النبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ؟

س ٥- هَلْ عاش وَرقَةُ كَثيرًا بعدَ لقائِه بالنَّبِّى عليهِ الصَّلاةُ والسُّلامُ؟

س ٦- كيفَ كـانَ بَدءُ الدَّعوةِ الإِسْـلاميَّـةِ، ومَا المكَانُ الَّذى كَـانَ يَلتقِى فـيهِ المسْلمُونَ؟

س ٧- هَلِ استْـمرَّتِ الَّدعوةُ سرًّا وقـتًا طويلاً، وماذَا حـدَثَ بعدَ هذهِ المرحلَةِ السرِّيةِ؟

س ٨- كَيْفَ جمعَ النَّبى صَلَّـى اللهُ عليْه وسلَّم النَّاسَ ليسمَعُـوا دعَوتَهُ، ومَاذا قَالَ لهمْ؟

س ٩- هَل اسْتجابَ النَّاسُ لِدَعْوة النَّبى فَورًا؟ ومَنْ قَريبُهُ الَّذِى سخَرمنْهُ؟ وَمَنْ قَرِيبُهُ الذى كانَ يحْميه، وهوَلايزَالُ مشرِكًا؟

س ١٠- مَاذَا كَانتْ نتيجَةُ الجهْرِ بالدَّعوَةِ، وكيفَ كَانَ اسْتقبالُ النبى، وأَصْحابِه لهذِه النتَّيجة؟

س ١١- كَانَ فِى رَدِّ الـنبِّى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم على عـمِّه أبى طالب جُـملةٌ مَشهورةٌ فى السيرةِ النبـويَّةِ تدلُّ علَى قُوةِ الثَّباتِ عَلَى المبَدأ، اذكرْ هذه الجملةَ.

س ١٢- وَعَد اللهُ الرسُلَ والمؤمِنينَ بالنَّصرِ فى الدُّنيَـا والآخِرَةِ، اذكر الآيةَ الَّتى تَدلُّ علَى ذلك.

درس النحو

المعرفةُ والنكرَةُ

ذكرنَا فى أول هذه الدُّروس أنَّ الكَلَامَ ينقسمُ إلَى ثَلاثة أَقْسامٍ هِىَ: الاِسْمُ والفِعْلُ والحْرفُ، وأوضحنا عَلامَةَ كُلِّ قسْمٍ منْ هذه الأَقْسام الثَّلاثَة.

وفِى هذَا الدَّرس نَذكرُ شْيئًا خَاصًّا بالاَسم، هُوَ تَقْسيمُهُ إلَى معرفةٍ وإِلَى نكرَةٍ، فالمعرَفةُ هى اللفظُ الذى يَدلُّ علَى معيَّنٍ، وأَقْسامُهَا خَمسةُ أقْسام.

القسمُ الأولُ: الضَّمائر، مثلُ: أَنَا، أنْتَ، نَحْن، هُمْ، هُمَا، هنَّ، إِلَى آخر هذه الضمائر الَّتى تدلُّ علَى المتكلِّم أو المخاطَب أو الغَائب.

القَسمُ الثَّانى من المعرفَة هُوَ: العَلَمُ، وهوُ مَا يَدلُّ علَى مُعَيَّنٍ دُونَ أنْ يحتاجَ إلى شىء يعيِّنهُ أو يدلُّ عليْه أكثَر منَ النطق به، مثلُ: خالدٌ، محمدٌ، إسَماعيلُ، فهذه أسماءُ أعْلام دلَّتْ علَى أصحَابِها دونَ احْتياج لقرِينةٍ، وَمنْها أيْضًا أسْماء المدن، مثلُ: مكةَ، بغدادَ، دمشق، طنطاَ، دُسوقَ، إلخ.

القسمُ الثَّالثُ: الاسمُ المبهمُ، وهو اسم الإشارَة، والاسمُ الموصولُ، أمَّا اسْمُ الإشارة فهوَ ما وُضِع ليدلَّ علَى معيَّنٍ بواسطة إشَارَةٍ حسِّيةٍ أو معْنوية، مثلُ: هذا، هَذه، هذَان، هاتَان، وهؤُلاء.

وأما الاسَمُ الموصَولُ: فهوُ مايدلُّ علىِ مَعيَّنٍ بواسطة جُملة أَوْ شبهَها تُذكرُ بعدهَ وتسمَّى الصِّلة، وَتكونُ مُشتملةً عَلَى ضميرٍ يطابِقُ الموصولَ ويسمَّى العَائد، مثلُ الذى، والَّتى، واللَّذان واللَّتان، والَّذين واللَّاتى.

القسمُ الرَّابعُ: الاسمُ الذِى فيهِ الألفُ واللاَّمُ: مثلُ: القَاهرةُ، القطارُ، المدينةُ، القدسُ، الشجرةُ، إلخ.

والقسمُ الخامسُ: الاِسمُ الذى أُضِيفَ إلى واحدٍ من هذهِ الأرْبعةِ، فاكتسب التعرِيفَ بتلكَ الإضَافَة.

أمَّا النكرةُ فغيرُ ذلكَ، وَهى كُلُّ اسم شَائعٍ فى جنسه لاَ يَختصُّ به وَاحدٌ دُونَ آخرَ. ولكىْ يكونَ ذلكَ قريبًا إلى ذَهنكَ نَقولُ أنَّ النكرة هىَ كَلُّ ماليْس فيه ألفٌ ولامٌ، ولكنْ يَصلحُ دخولُ الألف واللام عَليْه، مثلُ فرسٌ وكتابٌ وشجرةٌ، ورجلٌ، فهذه كلُّها نكرات يصلحُ دخولُ الألف واللاَّم عليْها، فيقالُ: الفرسُ، والكتابُ والشَجرةُ والقطارُ، والرجلُ.. وهكذا..

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١- الفاتحة أم الكتاب
٢- خليفة الله
٣- يا بني إسرائيل
٤- بقرة بني إسرائيل
٥- هاروت وماروت
٦- بيت الله
٧- قبلة المسلمين
٨- وقاتلوا في سبيل الله
٩- طالوت وجالوت
١٠- قدرة الله
١١- امرأة عمران
١٢- وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣- ابنة عمران
١٤- عيسى في السماء
١٥- نصر الله
١٦- اختيار الله
١٧- حياة الشهداء
١٨- صلاة الخوف
١٩- الأرض المقدسة
٢٠- قابيل وهابيل
٢١- مائدة من السماء
٢٢- هل يستوي الأعمى والبصير
٢٣- إبراهيم يبحث عن الله
٢٤- بنو آدم والشيطان
٢٥- أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦- نوح عليه السلام وقومه
٢٧- هود عليه السلام وقومه
٢٨- صالح عليه السلام وقومه
٢٩- لوط عليه السلام وقومه
٣٠- شعيب عليه السلام وقومه
٣١- موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢- قوم موسى وقوم فرعون
٣٣- موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤- بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥- سفهاء بني إسرائيل
٣٦- موسى عليه السلام والأسباط
٣٧- ضحية الشيطان
٣٨- دفاع عن الرسول
٣٩- وعد الله
٤٠- توزيع الغنائم
٤١- قوة الصابرين
٤٢- أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣- يوم الحج الأكبر.
٤٤- يوم حنين.
٤٥- عزير آية الله للناس.
٤٦- الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧- وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨- لا تحزن إن الله معنا.
٤٩- المنافقون في المدينة.
٥٠- خذ من أموالهم صدقة.
٥١- مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢- المسلمون في ساعة العسرة.
٥٣- الثلاثة الذين خُلِّفوا.
٥٤- والله يعصمك من الناس.
٥٥- القرآن يتحدى.
٥٦- وجاوزنا ببني إسرائيل البحر.
٥٧- يا بني اركب معنا.
٥٨- يوسف عليه السلام في غيابة الجب.
٥٩- يوسف عليه السلام السجون المظلوم.
٦٠- سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١- لقاء الأحبة.
٦٢- ثم استوى على العرش.
٦٣- حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤- زمزم نبع الأنبياء.
٦٥- مقام إبراهيم مصلًى.
٦٦- ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧- أصحاب الأيكة.
٦٨- فاصدع بما تؤمر.
٦٩- ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠- وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١- رياحون البيوت شقائق الرجال.
٧٢- التي نقضت غزلها.
٧٣- سبحان الذي أسرى بعبده.
٧٤- فتية آمنوا بربهم.
٧٥- صاحب الجنتين.
٧٦- موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧- ذو القرنين.
٧٨- يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩- واذكر في الكتاب مريم.
٨٠- ذلك عيسى ابن مريم.
٨١- واذكر في الكتاب إسماعيل.
٨٢- واذكر في الكتاب إدريس.
٨٣- وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤- الوادي المقدس طوى.
٨٥- وجعلنا من الماء كل شيء حي.
٨٦- النار بردا وسلاما.
٨٧- حكمة سليمان عليه السلام
٨٨- وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩- يونس عليه السلام في بطن الحوت.
٩٠- سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١- موسى عليه السلام القوي الأمين.
٩٢- قارون وعاقبة المفسدين
٩٣- زيد... هو ابن حارثة.
٩٤- الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥- جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦- وفديناه بذبح عظيم.
٩٧- بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨- جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩- أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠- للبيت رب يحميه.

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث